

مفهوم الأمة وأهمية الانتماء إليها في

تشكيل الهوية

ورقة مقدمة لندوة هيئة علماء فلسطين

إستانبول – تركيا

الخميس 1443/12/29 هـ 2022/7/28 م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

### أولاً: كلمة الأمة في القرآن الكريم أطلقت وأريد بها أربعة معاني:

1/ الأمة بمعنى الإمام المقتدى به في الخير؛ وذلك في قوله تعالى {إن إبراهيم كان أمة}

2/ بمعنى البرهة الزمنية؛ في قوله تعالى {وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة} {ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسهم}

3/ الدين والمعتقد {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون}

4/ الطائفة من الناس التي يجمعها دين واحد {وجد عليه أمة من الناس يسقون}

ولا ريب أن موضوع هذه الورقة محصور في هذا المعنى الأخير.

### ثانياً: ما هي هوية الأمة الإسلامية؟

الهوية هي: (المفهوم الذي يكونه الفرد عن فكره وسلوكه اللذين يصدران عنه، من حيث مرجعها الاعتقادي والاجتماعي)<sup>1</sup> وقد امتدح القرآن الكريم هذه الهوية وأثنى عليها باعتبارها، منها:

أنها أحسن قولاً، وأحسن عملاً، وأحسن قضيةً، وأحسن نسبة، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}<sup>2</sup>

وهي الهوية الكاملة المرضية من الله تعالى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}<sup>3</sup>

وهي صبغة الله، قال عز وجل {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ

<sup>1</sup> مجلة البيان العدد 128 ربيع الآخر 1419

<sup>2</sup> سورة فصلت 33

<sup>3</sup> سورة المائدة 3

عَابِدُونَ<sup>4</sup>

ومن خصائصها الوسطية في كل شيء كما في قوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا<sup>5</sup>} والانتساب إليها انتساب إلى خير أمة، كما قال تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ<sup>6</sup>}

إن الهوية الإسلامية انتماء إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ، وإلى عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين، من كانوا، ومتى كانوا، وأين كانوا؛ قال تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ<sup>7</sup>} وقال سبحانه {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ<sup>8</sup>}

### ثالثاً: الانتماء إلى الأمة الواحدة

في سبيل تحقيق هذا الانتماء يجب تنحية العصبية القومية والنعرات الجاهلية؛ وهذا الذي نطقته به نصوص الشرع؛ في قول النبي ﷺ لمن غير الآخر بلونه (إنك امرؤ فيك جاهلية) وفي قوله (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بتقوى الله) وفي قوله (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً)

وحينما شرع الله سبحانه وتعالى الوحدة ودعا إليها، ووجه المسلمين نحوها، شرع ما يؤدي إلى تحقيق هذه الوحدة ويعين عليها، ويعمل على صيانتها، فشرع صلاة الجماعة التي يصلي فيها المسلمون ضمن حركات متناسقة تنساب كأنها أمواج البحر، لا يشوبها تضارب أو تضاد، وبألفاظ واحدة، خلف إمام واحد، متجهين إلى

<sup>4</sup> سورة البقرة 138

<sup>5</sup> سورة البقرة 143

<sup>6</sup> سورة آل عمران 104

<sup>7</sup> سورة المائدة 55-56

<sup>8</sup> سورة التوبة 71

قبلة واحدة، يدعون إليها واحداً، وشرع الزكاة التي تمثل أكبر مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام، والتي تظهر فيه معاني التراحم والتعاطف، وشرع الصيام الذي تظهر فيه معاني الشعور نحو الآخرين، والحج الذي يمثل بحق المؤتمر العالمي الإسلامي السنوي، الذي يظهر فيه المسلمون بمظهر واحد يلبون نداء رب واحد.

3- ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى رأسه الجهاد في سبيل الله والذي يمثل العامل الأكبر لصيانة هذا الكيان، ما كان لتقوم له قائمة لولا الوحدة، ولذا اعتبرها القرآن الكريم شرطاً من شروط القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يظهر ذلك من تقديم قوله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} على قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}

## رابعاً: شواهد تاريخية

1. في أثناء الحملة الفرنسية على مصر كان العلماء هم الذين يوجهون الثوار، وقد فطن لذلك نابليون بونابرت؛ قاتله الله فولج للناس من باب الدين؛ هذا هو المنشور الذي وجهه نابليون للمصريين وقد افتتح بعبارة تقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لا إله إلا الله لا ولد له ، ولا شريك له في ملكه، ثم يقول: يا أيها المصريون ، قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح لا تصدقوه ، وقولوا للمغترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقاكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من الممالك أعبد الله - سبحانه وتعالى-، وأحترم نبيه والقرآن الكريم.. ثم يضيف كاذباً: أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجرنلجية وأعيان البلاد، قولوا لأمتكم إن فرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون (وفي النص الفرنسي: محبون للمسلمين المخلصين!!)

2. على أيام ثورة المصريين على الإنجليز كانوا يدركون أنها ثورة إسلامية، ويرون في ذلك الخطورة البالغة، كما عبّر عن ذلك اللورد اللنبي المندوب السامي في مصر

بقوله: إن الثورة تنبع من الأزهر، وهذا أمر له خطورته البالغة.. أفرجوا عن سعد زغلول وأعيدوه إلى القاهرة.<sup>9</sup> واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب

3. جهاد الإنجليز في السودان تولى أمره العلماء وأهل الدين بقيادة محمد أحمد المهدي؛ حتى توجوا ذلك بمقتل المندوب الإنجليزي (غوردون) ثم هزيمة الحملة الإنجليزية بقيادة (هكس باشا)<sup>10</sup>

4. في ليبيا كان العلماء وأهل الدين – بقيادة عمر المختار - على رأس الأمر في جهاد الصليبيين الطليان، وسجلوا في ذلك أروع الملاحم وأعظم البطولات مما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء.

5. بلاد المسلمين في البوسنة والهرسك تعرضت للاحتلال النمساوي، والاحتلال الصربي (المملكة اليوغسلافية) وبعد ذلك الاحتلال النازي (الكروات) والشيوعيين، وقد كان علماء تلك البلاد حكماء في تعاملهم مع تلك الظروف كلها؛ وكان هدفهم الحفاظ على الإسلام، وفي دستور المشيخة الإسلامية إشارة إلى "أننا سنبقى على هذا الحال إلى أن تعاد مؤسسة الخلافة في الأمة الإسلامية، وحالما تعاد مؤسسة الخلافة نحن سننضم إليها بدون أي نقاش "لماذا؟" لأننا نحس بموجب ديننا الإسلامي بأننا جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية. ونحن في هذه المناسبة أكدنا وذكّرنا أوروبا أننا مستقلون في شئوننا الدينية، بموجب وجودنا الجغرافي في القارة الأوروبية، ولكن لنا الحق ومصرون على أن أوروبا تعلم بأننا منتمون للأمة الإسلامية وليس لغيرها وأننا جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، لها علينا واجبات، ونحن ملتزمون بتبعات انتمائنا إليها؛ هذا لا يمنعنا أن نشترك مع أوروبا في علاقات مختلفة لأننا نعيش في القارة الأوروبية، ونعيش ونمارس ونطبق الثقافة الإسلامية، لأن الشمس لا تزال تبرز من الشرق"<sup>11</sup>.

<sup>9</sup> واقعنا المعاصر

<sup>10</sup> لست معنياً ها هنا ببيان ما كان عليه المهدي رحمه الله في بعض منشوراته من خطأ بين حين أحرق كتب المذاهب الأربعة وزعم لنفسه أنه المهدي المنتظر وأنه لن يقبض حتى يدخل مكة والمدينة فاتحاً... الخ

<sup>11</sup> دور الفتوى في الحفاظ على الهوية الإسلامية في البلقان 17